

الأنفس الزكية

كتاب يتناول نور سيدنا محمد ﷺ
وأهل بيته الطيبين
الطاهرين بالعرض والتحليل لذواتهم المقدسة

الأستاذ الدكتور
السيد حسين السيد محمد علي الطاهر
استشاري علم النفس

الطبعة الأولى

دولة الكويت
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

الأنفس الزكية

«كتاب يتناول نور سيدنا محمد ﷺ وأهل بيته الطيبين
الطاهرين بالعرض والتحليل لذواتهم المقدسة»

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)

الأستاذ الدكتور

السيد حسين السيد محمد علي الطاهر

استشاري علم النفس

حقوق الطبع محفوظة

دولة الكويت

الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

تلويح

إن الأئمة المعصومين منزهين عن التحليل النفسي المادي والدينيوي، لأنه لا يختلف الواحد منهم عن الآخر في شخصيته ونمط تفكيره، وأسلوب حياته وتعامله مع مجتمعه، إلا من حيث المصاديق التي تشير إلى اختلاف المشاكل الاجتماعية وتعددتها، وتباين الظروف النفسية والفكرية في زمانهم.

فالتحليل المشار إليه في المتن جاء ليوضح الجوانب النورانية للشخصية التي اجتباها الله لتبليغ الخط الرسالي للرسول الأكرم محمد ﷺ وهداية الناس للعبودية الخالصة. كما أن التحليل جاء لشرح القاعدة الفكرية التي تحدد مفاهيمهم وسلوكهم وأنشطتهم كافة عند التعامل مع عامة الناس، على أساس تبيان خط الإمامة العظيم كما قال رسول الله ﷺ للحسين ﷺ: «إن الله اختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة، تاسعهم قائمهم، وكلهم في الفضل والمنزل عند الله سواء»^(١).

(١) بحار الأنوار ج ٥١: ١١٠ ونبايع المودة: ٣٩٣.

مقدمة الكتاب

الحمد لله أبلغ كلمات الحمد وآياته والثناء عليه أسمى عبارات الثناء وغاياته وصلى الله على نبيه المصطفى ورسوله الأوفى ورحمته الكبرى محمد بن عبدالله ﷺ وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين أعلام الهدى وعنوان التقى المضحين بالدنيا من أجل الدين، ولا سيما وارث علومهم وبقية تراثهم الإمام المهدي المنتظر ورحمه الله وبركاته وبعد .

يعتبر كتاب الأنفس الزكية من المصادر الهامة لنشر الوعي والثقافة الإسلامية عن الأنوار الربانية التي تمثلت في سيدنا محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة المعصومين من ذرية الحسين عليهم الصلاة وأزكي السلام، إذ أن الالتزام بالقرآن والعتره الطاهرة من دعائم تثبيت الدين قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(١) وقال تعالى ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾^(٢) وقال الرسول ﷺ «إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني قد تركت فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني: إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا ماذا تخلفوني فيهما»^(٣). والكتاب الذي بين يديك يتطرق إلى نشر الفكرة الدينية والنفسية على أسس روحانية وجسدية تقوي الإيمان وتزكي الأعمال الربانية ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وهذه الفكرة كما هي موجودة في الحاضر ستظل جارية في المستقبل ما دام الإنسان للفكر يتطلع وإلى معرفة الحقيقة يتشوق وبالمعتقدات الدينية يتمسك.

والدافع وراء ارتباط الأنوار الربانية بالنفس يكمن في معرفة الناس لأنفسهم

(١) سورة النساء: آية ٥٩. (٢) سورة النساء: آية ٨٠. (٣) مناقب ابن المغازلي: ٢٣٥.

وما يتعلق بها من حاجات جسدية وروحية ترتبط بقدرة الخالق جل وعلا الذي جعله من أفضل مخلوقاته على وجه الخليقة جمعاء. وفي إرساء دعائم الإصلاحات النفسية والاجتماعية التي تعمل على إيجاد التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع من خلال تماسكهم وتكاتفهم وتعاونهم في فعل الخيرات ومساعدة الضعفاء والمحرومين، والابتعاد عن السلوكيات المنحرفة والعمل على نشر العلم والمعرفة. والتمسك بالطاعة والولاية لسيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين. تلك الطاعة التي تهدف إلى تنمية مشاعر الرضا والتفاؤل والمحبة والتسامح والألفة والعفو وحسن الظن بالله والجهد في سبيل الله وإعلاء كلمته، ونشر الحق ورايته في زمن كثرت فيه الأزمات والكروب وانتشرت فيه أفكار السخط ومشاعر الغضب والعداوة والبغضاء، وبدلت معاني الكلمة واختلطت المفاهيم.

وكتاب الأنفس الزكية له في النفس تأثير يستمد منذ خلق الله للأنوار المحمدية التي امتثلت لأمره وخافت من عذابه وتصدت لذكره وشكره، وسارت على صراطه وأقامت حقه وأدت عهده وأوفت نذره.

وفي هذا الكتاب المتواضع سوف نتطرق إلى شرح تحليلي تربوي ونفساني روحاني عن نور محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة القائم المهدي عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكي التسليم.

أسأل الله العلي القدير أن يوفقني في تحقيق الغاية التي كانت وراء تأليف هذا الكتاب، وأسأله المغفرة على ما في الكتاب من تقصير والعون على تأليفه وهو الموفق إلى العلم النافع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله المنتجبين الغر الميامين.

الأستاذ الدكتور

السيد حسين السيد محمد علي الطاهر



نور الإمام المهدي عليه السلام

إن شخصية الإمام المهدي عليه السلام شخصية نور إشراقية فهو مشرق النور، وأمل الإنسانية وزعيمها الذي يملئ الأرض قسطاً وعدلاً مثلما ملئت ظلماً وجوراً^(١)، وإنه قائم آل محمد عليهم السلام الذي أعده تعالى لإصلاح العالم، وتغيير منهاج الحكومات الظالمة والفسادة التي أباحت الحرام وحرمت الحلال وهتكت الحرمات، وشرعت المفسدات، وهبطت بالإنسان إلى مستوى متدني من الأخلاق والدين.

إن الإمام المهدي عليه السلام شخصيته تكاملية، اختاره الله تعالى للإصلاح الشامل فهو أعظم ولي من أوليائه، ومن أشجعهم قلباً، ومن أنفذهم بصيرة ومن أكثرهم نكرانا للذات، فكيف لا؟ وهو من أهل البيت الذين زكاهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ولد الإمام المهدي عليه السلام في الخامس عشر من شهر شعبان لسنة (٢٥٥هـ) من أب طاهر مطهر هو الإمام الحسن العسكري الذي هو من مصادر الفكر والوعي في دنيا الإسلام، ومن سادات المتقين والمنيبين إلى الله تعالى، ومن أم زكية عفيفة طاهره تقية هي سوسن وقيل ريحانة، ونرجس ومصقيل، وخمط، وانما سميت بهذا الإسم لأنها اعتراها النور والجلاء بسبب حملها بالإمام عليه السلام.

ولقد ذكر أئمة الهدى جملة من الأحاديث في الثناء على السيدة سوسن عليها السلام

١ - القسط يكون للنفس العاقلة من بني الإنسان، والعدل يكون لكافة المخلوقات الأخرى، وكذلك الجور يكون بين بني الإنسان، بينما الظلم أعم وأشمل للمخلوقات كافة.

فقال الإمام علي عليه السلام بعد انتهائه من حرب الخوارج في النهروان عندما عرض عليه موضوع خروج المهدي عليه السلام مثنيا على السيدة الكريمة أمه «يا بن خيرة الإماء، متى تنتظر؟ ابشر بنصر قريب من رب رحيم» وقال الإمام الصادق عليه السلام لابن أبي البصير «إن القائم هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيدة الإماء يغيب غيبة يرتاب فيه المبطلون، ثم يظهره الله عز وجل فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها».

وقال الإمام أبي جعفر عليه السلام إن للقائم علامتان: «أمة في رأسه وشامة بين كتفيه مثل ورقة الآس، ابن سبية وابن خيرة الإماء».

- رؤيا السيدة نرجس عليها السلام:

ومن رؤيا السيدة نرجس أنها رأت كأن السيد المسيح وشمعون وعدة من الحواريين اجتمعوا في قصر جدها قيصر ملك الروم ونصبوا فيه منبرا يبارى السماء علوا وارتفاعا في الموضع الذي كان جدي نصب فيه عرشه، فدخل عليهم النبي محمد صلى الله عليه وآله مع فتية وعدة من بنيته، فتقدم المسيح إليه فاعنتقه، فقال له النبي محمد صلى الله عليه وآله: «يا روح الله إني جئتك خاطباً من وصيك شمعون فتاته المليكة لإبني هذا»، وأوماً بيده إلى أبي محمد ابن صاحب هذا الكتاب.

فنظر المسيح إلى شمعون وقال له: قد فعلت، فصعد ذلك المنبر وخطب النبي محمد صلى الله عليه وآله وزوجني من ابنته وشهد المسيح عليه السلام وشهد أبناء النبي محمد صلى الله عليه وآله والحواريون.

فلما استيقظت من نومي أشفقت ان أقص هذه الرؤيا على أبي وجدي مخافة القتل.

وضُرب صدري بمحبة أبي محمد حتى امتنعت من الطعام والشراب،
وضعفت نفسي، ودق شخصي، ومرضت مرضاً شديداً، فما بقي في مدائن
الروم طبيب إلا أحضره جدي وسأله عن دوائي، فلما برح به اليأس قال: يا قرّة
عيني هل تشتهين شيئاً؟

فقلت يا جدي أرى أبواب الفرج علي مغلقة، فلو كشفت العذاب عمن في
سجنك من أسارى المسلمين، وفككت عنهم الأغلال، وتصدقت عليهم، ومننت
عليهم بالاخلاص، لرجوت أن يهب المسيح وأمه لي عافية وشفاءاً.

فلما فعل ذلك جدي تجلت في اظهار الصحة في بدني، وتناولت يسيراً من
الطعام، فسر بذلك جدي، وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم.

فرأيت أيضاً بعد أربع ليالٍ: كأن سيدة النساء قد زارتي ومعها مريم بنت
عمران وألف وصيفة من وصائف الجنان، فتقول لي مريم: هذه سيدة نساء
العالمين، وأم زوجك أبي محمد، فتعلقت بها وأبكي وأشكوا إليها إمتناع أبي
محمد من زيارتي.

فقالت لي سيدة نساء: «إن ابني لا يزورك وأنت مشركة بالله وعلى مذهب
النصارى، وهذه أختي مريم تبرا إلى الله من دينك، فإن ملت إلى رضى الله عز
وجل، ورضى المسيح ومريم عنك، وزيارة أبي محمد إياك فقولى: أشهد أن لا إله
إلا الله وأن أبي محمداً رسول الله».

فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمتني سيدة النساء إلى صدرها، فطابت لي نفسي
وقالت: «الآن توقعي زيارة أبي محمد إياك فإنني منفذته إليك».

فانتبهت وأنا أقول: واشوقاه إلى لقاء أبي محمد، فلما كانت الليلة القابلة

جاءني أبو محمد عليه السلام في منامي، فرأيتُه كأنِّي أقول له جفوتني يا حبيبي بعد أن شغلت قلبي بجوامع حبك؟ فقال: «ما كان تأخيرني عنك إلا لشركك، وإذ قد اسلمت فإني زائرُك في كل ليلة على أن يجمع الله شملنا في العيانش، فما قطع عني زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية».

قال بشر: فقلت لها: وكيف وقعت في الأسر؟

فقلت: «أخبرني أبو محمد ليلة من الليالي أن جدك سيسير جيشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا، ثم يتبعهم، فعليك باللاحاق بهم متكررة في زي الخدم مع عدة من الوصائف من طريق كذا».

ففعلت، فوقعنا علينا طلائع المسلمين حتى كان من أمري ما رأيت وشاهدت، وما شعر أحد بي باني ابنة ملك الروم الى هذه الغاية سواك، وذلك بإطلاعي إياك عليه».

ولقد سألتني الشيخ (الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة) عن اسمي، فأنكرته وقلت: نرجس، فقال: اسم الجواري.

فقلت: العجب انك رومية ولسانك عربي^(١)؟

قالت: «بلغ من ولوع^(٢) جدي وحمله إياي على تعلم الآداب أن أوعز الى امرأة ترجمانة في الاختلاف الي، فكانت تقصدني صباحاً ومساءً، وتقيدني العربية حتى استمر عليها لساني واستقام».

١ - هذا كلام بشر وسؤاله منها.

٢ - الولع: شدة الحب و التعلق بشيء. الاختلاف إلي: أي التردد يُقال: اختلف المكان: أي تردد، وجاء اليه المرة بعد الأخرى.

قال بشر: فلما انكفأت^(١) بها إلى (سر من رأى) دخلت على مولانا أبي الحسن العسكري عليه السلام^(٢) فقال لها «كيف أراك الله عز الإسلام وذل النصرانية»^(٣) وشرف أهل بيت محمد عليه السلام؟ قالت: كيف أصف لك

يا بن رسول الله ما أنت أعلم به مني؟ قال: «فإني أريد»^(٤) أن أكرمك فأئما أحب اليك: عشرة آلاف درهم؟ أم بشرى لك بشرف الأيد؟ قالت: بلى البشرى. قال عليه السلام: فأبشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً، ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. قالت: من سنة كذا بالرومية^(٥). قالت: من المسيح ووصيه؟ قال: ممن زوجك المسيح ووصيه؟ قالت: من ابنك أبي محمد؟ فقال: هل تعرفينه؟ قالت: وهل خلت ليلة لم يرني فيها منذ الليلة التي أسلمت على يده سيدة النساء: أمه»^(٦)؟

فقال أبو الحسن الهادي عليه السلام: «يا كافور أدع لي أختي حكيمة»، فلما دخلت عليه قال لها: «هاهيه»، فاعتقتها طويلاً، وسرت بها كثيراً، فقال لها أبو الحسن عليه السلام: «يا بنت رسول الله خذها الى منزلك، وعلميها الفرائض والسنن، فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم عليه السلام»^(٧).

١ - انكفأت: أي رجعت.

٢ - الإمام الحادي عشر الحسن العسكري عليه السلام.

٣ - إشارة إلى انتصار المسلمين على جيش قيصر جدّ نرجس.

٤ - وفي نسخة: اني أحب.

٥ - أي بالتاريخ الميلادي ... لا التاريخ الهجري

٦ - يُعبّر عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بـ «أم الأئمة» لأنّ الأئمة الأحد عشر أبناءها.

٧ - روى هذا الحديث الشيخ الصدوق في (إكمال الدين) و الشيخ الطوسي في (كتاب الغيبة) بألفاظ متقاربة، و نحن جمعنا بين الروايات بقدر المستطاع واخترنا احسن الوجوه.

– مباركة السيدة حكيمة المولود العظيم:

روى الشيخ الصدوق في (إكمال الدين) بإسناده: عن حكيمة (بنت الإمام الجواد عليه السلام) قالت: بعث إلي أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام فقال: «يا عمة اجعلي افطارك الليلة عندنا، فإنها ليلة النصف من شعبان (سنة ٢٥٥هـ)، وإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة، وهو حجتة في أرضه - وفي رواية: - فإنه سيولد المولود الكريم على الله عز وجل، الذي يحيى الله عز وجل به الأرض بعد موتها».

قالت (حكيمة): فقلت: ومن أمه؟ قال لي: «نرجس»، قلت له: جعلني الله فداك ما بها أثر^(١)؟ فقال: «هو ما أقول لك»، قالت: فجئت فلما سلمت وجلست جاءت (نرجس) تنزع خفي^(٢) وقالت لي نرجس عليها السلام: «يا سيدتي وسيدة اهلي كيف أمسيت؟» فقلت: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي، فأنكرت قولي وقالت: «ما هذا يا عمة»^(٣)! وفي رواية أخرى: فجاءتني نرجس تخلع خفي، فقالت نرجس عليها السلام: «يا مولاتي ناوليني خفك»، فقلت: بل أنت سيدتي ومولاتي، والله لا أدفع اليك خفي لتخلعيه، ولا لتخدميني، بل أنا أخدمك على بصري^(٤)، فسمع أبو محمد عليه السلام ذلك فقال عليه السلام: «جزاك الله - يا عمة - خيراً».

١ - أي: ما بها أثر من الحمل لأن الله تعالى أخفى فيها أثر الحمل، كما أخفى الله ذلك في أم النبي موسى عليه السلام ولم يظهر عليها أثر الحمل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها، لأن فرعون كان يشق بطون النساء الحبالى في طلب موسى.

٢ - كانت العادة المتعارفة في ذلك الزمان أن صاحبة البيت كانت تنزع خف المرأة الزائرة التي جاءت إلى بيتها احتراماً واکراماً تقديراً لها.

٣ - «فأنكرت»: أي تعجبت من قولي لها: «بل أنت سيدتي وسيدة أهلي» أي: كيف يسوغ للسيدة حكيمة وهي بنت الإمام وأخت الإمام وعمة الإمام أن تخاطب جارية بهذه الكلمات؟ وأما قول نرجس: «يا عمة» فهو باعتبار أن السيدة حكيمة عمة زوجها، فكما كان الإمام العسكري يخاطبها يا عمة "كذلك خاطبها نرجس بكلمة "يا عمة".

٤ - قولها "على بصري" كالقول المتعارف في هذا الزمان "على عيني".

قالت حكيمة: فقلت لها: يا بُنَيَّة إِنَّ اللهَ سَيَهَبُ لك - في ليلتك هذه- غلاماً سيّداً في الدنيا والآخرة، فجلست (نرجس) واستحيت، فلما أن فرغت من صلاة العشاء أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت، فلما كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة، ففرغت من صلاتي وهي (أي: نرجس) نائمة ليس بها حادث، ثم جلست معقبة^(١). ثم اضطجعت، ثم انتبهت فزعة وهي راقدة، ثم قامت فصلت، فدخلتني الشكوك، فصاح بي أبو محمد ﷺ: «لا تعجلي يا عمه فإن الأمر قد قرب».

وفي رواية: فوثبت سوسن (أي: نرجس) فزعة، وخرجت وأسبغت الوضوء، ثم عادت فصلت صلاة الليل حتى بلغت الوتر^(٢) فوقع في قلبي أن الفجر قد قرب، فقامت لأنظر، فإذا الفجر الأول قد طلع^(٣) فتدخل قلبي الشك من وعد أبي محمد ﷺ فنناداني من حجرته: لا تشكي، فاستحييت من أبي محمد ومما وقع في قلبي، ورجعت إلى البيت وأنا خجلة، فإذا هي (أي: نرجس) قد قطعت الصلاة، وخرجت فزعة، فلقيتها على باب البيت فقلت لها: هل تحسين شيئاً مما قلت لك؟

قالت: «نعم يا عمه إنني أجد أمراً شديداً».

قلت: اسم الله عليك، اجمعني نفسك، واجمعني قلبك فهوما قلت لك، لا خوف عليك إنشاء الله، فأخذت وسادةً فالتقيتها في وسط البيت، وأجلستها عليها

١ - معقبة: أي مشغلة بتعقيبات الصلاة كالأدعية والأوراد وتلاوة القرآن وغيرها.

٢ - الوتر آخر ركعة من صلاة الليل.

٣ - الفجر الأول: هو البياض "الضوء" الذي يظهر في الأفق-في جانب المشرق- ثم يزول ويأتي مكانه الظلام، ويُعبّر عنه أيضاً بـ "الفجر الكاذب".

وجلست منها حيث تقعد المرأة من المرأة للولادة، فقبضت على كفي وغمزت غمزاً شديداً^(١) ثم أنت أنه وتشهدت، فصاح بي أبو محمد عليه السلام وقال: «إقرئي عليها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾» فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني، فأجابني الجنين من بطنها يقرأ كما أقرأ، ففزعت لما سمعت، فصاح بي أبو محمد عليه السلام: «لا تعجبي من أمر الله عز وجل إن الله (تبارك وتعالى) ينطقنا بالحكمة صغاراً، ويجعلنا حجة في أرضه كباراً»، فلم يستتم الكلام حتى غيبت عني نرجس، فلم أرها، كأنه ضرب بيني وبينها حجاب فغدوت نحو أبي محمد عليه السلام وأنا صارخة، فقال لي: «ارجعي يا عمه، فإنك ستجدينها في مكانها».

فرجعت فلم ألبث أن كشف الحجاب الذي كان بيني وبينها، وإذا أنا بها عليها من أثر النور ما غشى بصري، وإذا أنا بولي الله (صلوات الله عليه) متلقياً الأرض بمساجده وعلى ذراعه الأيمن مكتوب: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾^(٢) -وهو (أي الإمام حال كونه ساجداً) يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن جدي محمداً رسول الله، وأن أبي أمير المؤمنين ولي الله».

ثم عد الأئمة إماماً إلى أن بلغ الى نفسه، ثم قال: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، وأتمم لي أمري، وثبت وطأتي واملاً الأرض بي عدلاً وقسطاً» ثم رفع رأسه من الأرض وهو يقول: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣) (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ عليه السلام ثم عطس فقال:

١ - غمزت: أي كبست و عصرت يدي عصراً شديداً.

٢ - سورة الإسراء آية ٨١ .

٣ - سورة آل عمران آية ١٨ - ١٩ .

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله، زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة لو إذن لنا في الكلام لزال الشك».

قالت حكيمة: فأخذت بكتفيه فضممته إلي، وأجلسته في حجري، فإذا هونظيف منطف، فصاح بي أبو محمد عليه السلام: «هلمي إليّ بابني يا عمه»، فجئت به إليه، فأجلسه على راحته اليسرى، وجعل راحته اليمنى على ظهره، ثم أدخل الإمام العسكري لسانه في فيه وأمر يده على رأسه وعينيه وسمعه ومفاصله، ثم قال له: «تكلم يا بني»!!

وفي رواية: «يا بني انطلق بقدره الله تكلم يا حجة الله وبقية الأنبياء، وخاتم الأوصياء، تكلم يا خليفة الأتقياء...» فتشهد الشهادتين وصلى على النبي والأئمة الطاهرين واحداً واحداً، ثم سكت بعد وصوله إلى اسم أبيه، ثم استعاذ من الشيطان الرجيم وتلى هذه الآية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين (٥) ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴿١﴾.

- إطعام شامل :

وأمر الإمام الحسن عليه السلام بعد ولادة الإمام المهدي عليه السلام بشراء كميات كبيرة من اللحم والخبز لتتفق على فقراء سامراء^(٢)، كما عاق عنه بسبعين كبشا وبعث بأربعة ذبائح منها إلى إبراهيم وكتب إليه بعد البسملة «هذه عن ابني المهدي

١ - سورة القصص آية ٥ - ٦ .

٢ - حياة الإمام المهدي عليه السلام: ٢٤ .

عليه السلام، كل منها واطعم من وجدت من شيعتنا»^(١) واستبشرت الشيعة بولاته المباركة وغمرتهم الفرحة، وتوافدوا على الامام ابي محمد عليه السلام يهنئونه بمولوده المبارك.

وقام الإمام أبي محمد عليه السلام بتسمية مولوده المبارك كما سماه الرسول الأعظم محمد ﷺ ولقبه بالمهدي لأنه يهدي إلى دين الحق^(٢) وبعد ذلك عرض الإمام أبي محمد عليه السلام وليده العظيم على خالص شيعته وخيارهم حتى لا يجعده أحد، ولا يرتاب في وجوده مرتاب، وكان عددهم أربعين رجلاً كان منهم محمد بن أيوب، ومحمد بن عثمان، ومعاوية بن حكيم وقال لهم الإمام: «هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا»^(٣).

والحق أنه ما من صفة من صفات الكمال إلا وهي من عناصر المصلح الأعظم للبشرية جمعاء سلام الله عليه، فقد خلقه الله من نور، وهذبه من كل نقص وظهره من كل رجس، وادخره لاصلاح عباده، وإقامة دينه.

- صفات الإمام المهدي عليه السلام:

إن من صفات الإمام المهدي عليه السلام سعة علومه، وهو من أوسع الناس ومن أكثرهم إحاطة بعلوم الأولين والآخرين، وهو الإمام الذي تسير بمنزلته النورانية والعلمية عن بقية الخلق قبل أن يخلق وقد قال فيه الإمام علي عليه السلام «هو أوسعكم كهفاً، وأكثركم علماً وأوصلكم رحماً»^(٤).

١ - بحار الأنوار ١٣: ٣.

٢ - بحار الأنوار ١٣: ١٠.

٣ - ينابيع المودة: ٤٦٠.

٤ - غيبة النعماني: ٢١٤.

وقال فيه الإمام الحسين عليه السلام عندما سأله الحارث بن المغيرة بأى شيء يعرف المهدي؟ قال: «بمعرفة الحلال والحرام، وبحاجة الناس إليه، ولا يحتاج أحد»^(١).

وقال فيه الإمام أبوجعفر الباقر عليه السلام «يكون هذا الأمر (أي الإمامة) في أصغرنا سناً، وأجملنا ذكراً، ويورثه الله علماً، ولا يكله إلى نفسه»^(٢).

وقد ورد عن الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه أنه كان المرجع الأعلى في الفقه وغيره للعالم الإسلامي أجمع، وكان نوابه يرفعون إليه المسائل التي يسأل عنها المسلمون فيحيبهم عنها، وقد احتفظ الشيخ الصدوق بمجموعة من فتاواه بخطه الشريف، كما أنه إذا ظهر عليه السلام يحاجج اليهود بأسفار التوراة فيسلم أكثرهم ويلتقي بخدمته جميع علماء الدنيا في مختلف تخصصاتهم وطبقاتهم وأطيافهم فيمتحنونه فيحيبهم بأحسن جواب واقناع، فيدخلون في الإسلام كافة ولا يبقى أحد إلا يدين بإمامته.

أما عن زهده عليه السلام فهو أزهد الزاهدين لمذات الدنيا ومباهجها فقد روى معمر بن خلاد عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: «ما لباس القائم إلا الغليظ وما طعامه إلا الجشب»^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما تستعجلون بخروج القائم، فوالله ما لباسه إلا الغليظ، وما طعامه إلا الشعير الجشب»^(٤).

١ - عقد الدرر: ٦٩ .

٢ - نفس المصدر: ١٠٩ .

٣ - بحار الأنوار ٥٢: ٣٥٩ .

٤ - غيبة النعماني: ٢٣٤ .

ومن صفاته ﷺ الصبر على المحن والخطوب، فهو من أعظم الأئمة محنة وأشدهم بلاءً، خاصة أنه سيناهاض الكفر والإستعمار والفساد في الدنيا كافة، فينتصر لدين الله، مفوضاً أمره إلى الله تعالى حتى يأذن له بالجهاد.

والإمام المهدي ﷺ من أشجع الناس قلباً، ومن أربطهم جأشاً، ومن أقواهم عزيمة، فهو من السخاء سخي ومن أندى الناس كفاً ومن أكثرهم جوداً، وأعظمهم سخاء، وقد تحدث النبي ﷺ عن سخاء الإمام المهدي ﷺ فقال «إن الرجل يجرى إليه فيقول له يا مهدي، أعطني، فيحشي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله»^(١).

ومن الصلابة في الحق، فهو أصلب المدافعين عن الحق، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وعن عبادته ﷺ فهو أعبد الناس لله عز وجل كعبادة آبائه الأئمة الطاهرين الذين وهبوا حياتهم لله تعالى، أنفقوا معظم حياتهم في طاعة الله والتبتل إليه صائمين نهارهم قائمين ليلهم، بالذكر المجيد والدعاء الحميد وقراءة القرآن الكريم والتدبر فيه.

- الغيبة الصغرى والكبرى وسفراؤه الأربعة:

إن للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف غيبتان: غيبة صغرى وغيبة كبرى، كما جاءت بذلك الأخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، فأما الغيبة الصغرى فكانت من يوم مولده ﷺ إلى انقطاع وانتفاء السفارة بينه وبين نوابه

١ - منتخب كنز العمال ٦: ٢٩ و ينابيع المودة: ٤٣١ ومصابيح السنة ٣: ٤٩٣

الأربعة وذلك بوفاة السفراء^(١) وعدم نصب غيرهم وهي أربعة وسبعون سنة، ففي هذه المدة كان السفراء يرونه وربما رآه غيرهم، وكانوا يصلون إلى خدمته وتخرج على أيديهم توقيعات منه إلى شيعته في أجوبة مسائل.

وأما الغيبة الكبرى فقد بدأت بعد الصغرى وتنتهي إلى يوم ظهوره فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً. وقد جاء في بعض التوقيعات أنه لا يراه أحد بعد هذه الغيبة وإن من ادعى الرؤية قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب، وجاء في بعض الأخبار أنه يحضر الموسم (الحج) كل سنة فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه.

وأما سفراء الإمام عليه السلام في زمن الغيبة الصغرى فهم أربعة:

● الشيخ أبو عمرو «عثمان بن سعيد بن عمرو العمري الأسدي»:

ويقال له السَّمَانُ لأنه كان يتجَرَّ بالسمين تغطية للأمر، وكان الشيعة إذا حملوا إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام ما يجب عليهم من المال جعله عثمان بن سعيد في زقاق السمن وحمله إليه تقية وخوفاً.

وكان الإمام الهادي عليه السلام نصبه وكيلاً ثم ابنه الإمام الحسن العسكري ثم صار سفيراً للمهدي عليه السلام وقال الإمام الهادي عليه السلام في حقه: «هذا أبو عمرو (عثمان بن سعيد) الثقة الأمين ما قاله لكم فعنّي يقوله وما أداه إليكم فعنّي يؤديه»، وفي حديث آخر: «فاسمع له واطع فإنه الثقة المأمون» وهو الذي حضر تغسيل الإمام الحسن العسكري عليه السلام وتولى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه ودفنه مأموراً

١ - هذا ما ذكره الشيخ المفيد وغيره فجعلوا ابتداء الغيبة من مولده لا من ابتداء إمامته فكانت (٧٤ سنة).

بذلك ولما توفي عثمان بن سعيد غسله ابنه محمد بن عثمان ودفن في بغداد بالجانب الغربي من مدينة السلام^(١) في شارع الميدان في أول الموضع المعروف بدرب جبلة في مسجد الدرب وكانت سفارته عدة أعوام.

ويقول صاحب تاريخ الغيبة الصغرى^(٢): أنه يمكن القول على وجه التقريب: ان الشيخ عثمان بن سعيد تولى السفارة خمس سنوات وتولى السفارة والنيابة بعده ابنه أبوجعفر محمد بن عثمان والتي دامت أربعين سنة وهي أطول السفراء في السفارة.

● الشيخ أبو جعفر «محمد بن عثمان بن سعيد العمري»:

السفير الثاني للإمام الحجة عليه السلام في الغيبة الصغرى هو أبوجعفر محمد بن عثمان بنص من الإمام الحسن العسكري عليه السلام ونص أبيه عثمان بن سعيد بأمر من الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه، قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «اشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي وان ابنه محمد وكيل ابني مهديكم» وقال عليه السلام لبعض أصحابه: «العمري وابنه ثقتان فما أديا إليك فعني يؤديان وما قال لك فعني يقولان فاسمع لهما واطعهما فانهما الثقتان المأمونان».

وللشيخ محمد كتب في الفقه منها كتاب الأشربة وقد ورد عنه أنه قد حفر قبراً لنفسه يدخل فيه ويقرأ جزءاً من القرآن والأدعية وقال أمرت أن أجمع أمري فإذا كان يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا صرت إلى الله تعالى ودفنت فيه فكان كما قال.

١ - في رحاب أئمة أهل البيت للسيد محسن الأمين: ١٦/٢ .

٢ - الغيبة الصغرى للسيد المرجع محمد الصدر: ٤٠٤ .

وكانت وفاته آخر جمادي الأولى سنة خمس وثلاثمائة أو أربع وثلاثمائة، وتولى هذا الأمر قرابة خمسين سنة^(١) ودفن عند والدته في بغداد عند شارع الكوفة وقيل هو الآن في وسط الصحراء، وفي تاريخ الغيبة الصغرى إن قبره الآن مشيد معروف «بالخلاني يزار للذكرى والتبرك قدس الله روحه».

● الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي:

إن محمد بن عثمان بن سعيد أقام الحسين بن روح مقامه قبل وفاته بسنتين أو ثلاث فجمع وجوه الشيعة وشيوخها وقال لهم: إن حدث علي حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي فقد أمرت أن أجعله في موضعي بعدي فارجعوا إليه وعولوا في أموركم عليه. والجدير بالذكر أنه كان هناك أخص وأقرب إلى محمد بن عثمان العمري من الحسين بن روح قرابة عشرة أفراد وكان مشايخ الشيعة لا يشكون في أن الذي يقوم مقامه هو جعفر بن أحمد بن متيل أو أبوه لكثرة وجوده في منزل محمد بن عثمان حتى أنه كان في آخر عمره لا يأكل طعاماً إلا ما أصلح في منزل جعفر أو أبيه.

ولكن لما وقع الاختيار من الإمام عليه السلام على الحسين بن روح سلموا ولم ينكروا، قال جعفر: لما حضرت محمد بن عثمان الوفاة كنت جالساً عند رأسه أسأله

١ - ذكر الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة " ولا يخفى إن هذه المدة هي من حين ولادة الإمام الحجة عليه السلام وهي سنة (٢٥٥) إلى وقت وفاة محمد بن عثمان (٣٠٥) مع أن محمد بن عثمان لم يتول السفارة من حين ولادة الإمام عليه السلام بل بعد وفاة أبيه عثمان فلا بد أن ينقص من هذه المدة خمس سنين من ولادة الحجة عليه السلام إلى حين وفاة العسكري وينقض منها مدة سفارة أبيه عثمان إلى حين وفاته وهي خمس سنوات تقريباً فيكون أربعين سنة كما ذكرنا. راجع كتاب في رحاب أئمة أهل البيت : ١٨/٢ .

وأحدثه وأبو القاسم بن روح على رجليه فقال لي: أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح فقممت من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحولت إلى عند رجليه.

وقال عنه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة كان أعقل الناس عند المخالف والموافق ويستعمل التقية وقد توفي الحسين بن روح في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة فتكون مدة سفارته حوالي الواحدة والعشرين سنة، ودفن في النوبختية عند قنطرة الشوك^(١).

• الشيخ أبو الحسن «علي بن محمد السمري»:

إن الحسين بن روح أوصى إلى أبوالحسن علي بن محمد السمري وكان من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام ولم يوجد نص خاص على سفارته وإنما دل على ذلك اتفاق كلمة الشيعة على ذلك وخروج توقيعات على يده من الناحية المقدسة مما تدل على سفارته وتوصية الحسين بن روح به وأيضاً خروج التوقيع له بانتهاء الدور للغيبة الصغرى.

وبدأ الغيبة الكبرى على يده مما يدل على سفارته فقد روى الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة بسنده أن السمري أخرج قبل وفاته بأيام إلى الناس توقيعاً وهو:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«يا علي بن محمد السمري! أعظم الله أجر اخوانك فيك، فإنك ميت ما

١ - راجع كتاب تاريخ الغيبة الصغرى وفي رحاب أئمة أهل البيت ٢: ١٩ وفي المجالس الزاهرة: ٤٢٦ - ٤٢٧ .

بينك وبينه ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توصى إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(١).

وقال الراوي: فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يحتضر فقيل له: من وصيتك من بعدك فقال لله أمر هو بالغه. وكانت وفاته في النصف من شعبان ٣٢٩ هـ، وكان قد تولى السفارة من سنة ٣٢٦ هـ فتكون مدة سفارته ثلاث سنوات كاملة، ودفن في الشارع المعروف بشارع الخلنجي ببغداد قرب نهر أبي عتاب»^(٢).

– علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام:

أشار المؤرخون والعلماء إلى العديد من علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام وسنلقي الضوء على أبرزها وهي:

١- انتشار الظلم والجور:

يعتبر انتشار الظلم والجور في الدنيا من العلامات البارزة لظهور الإمام المهدي عليه السلام، وفيه تظهر الحاجة والفقر، وتصبح الحياة كئيبة. مليئة بالأحداث والمآسي، ويغدو فيها الإنسان يعاني من الخوف والاضطراب والإرهاق، ويرجع الإنسان إلى حياة الجاهلية بآثامها وشرورها ويعود فيها الاسلام غريباً كما بدأ.

١ - راجع كتاب تاريخ الغيبة: ٤١٧ .

٢ - المجالس الزاهرة: ٤٢٨ .

ولهذه العلامات وردت عدة أحاديث منها:

● روى عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنتم يا عوف إذا افترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة منها في الجنة وسائرهن في النار؟». فأجابه رسول الله ﷺ قائلاً: «إذا كثرت الشروط، وملكت الإماء، وقعدت الجهلة على المنابر، واتخذ الفيء دولا، والزكاة مغرمًا، والأمانة مغنمًا، وتفقه في دين الله لغير الله، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وأقصى أباه ولعن آخر هذه الأمة أولها، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل اتقاء شره». وأضاف النبي ﷺ قائلاً: «ثم تجيء فتنة غبراء مظلمة، ثم تتبع الفتن بعضها بعضاً، حتى يخرج رجل من أهل بيتي يقال له المهدي»^(١).

● وروى أبوسعيد الخدري أن النبي ﷺ قال «ينزل بأمّتي في آخر الزمان بلاءٌ شديد من سلطانهم لم يسمع ببلاء أشد منه حتى تضيق عليهم الأرض الرحبة، وحتى تملأ الأرض جوراً وظلماً، ولا يجد المؤمن ملجأً يلتجئ إليه من الظلم، فيبعث الله عز وجل رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدخر الأرض من بذرها شيئاً إلا أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً إلا صبه الله عليهم مدراراً»^(٢).

● وقال ﷺ: «منا مهدي هذه الأمة إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهرت

١ - كنز العمال ٦: ٤٤ ، ومثله في العرف الوردي ٢: ٦٧ .

٢ - عقد الدرر: ١١٣ .

الفتن، وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيراً، ولا صغير يوقر كبيراً، فيبعث الله عند ذلك مهدينا، التاسع من صلب الحسين عليه السلام يفتح حصون الضلالة وقلوباً غفلاً، يقوم في الدين آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»^(١).

٢- خروج الدجال :

ومن العلامات المؤكدة لظهور الإمام الحجة عليه السلام خروج الدجال في حياتنا المعاصرة، وقيامه بتضليل الناس، وانضمام اليهود إليه واغرائه عامة الناس بالأموال، وهذه بعض الأحاديث النبوية التي نصت عليه:

● روى هشام بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما بين خلق آدم إلى قيامه الساعة أمر أكبر من الدجال»^(٢).

● وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي إلا أنذر الدجال الأعور الكذاب، إلا أنه أعور، وأن ربكم ليس بأعور»^(٣) ونستدل بذلك على أن الانبياء حذروا من فتنة الدجال الأعور الذي يظلل الناس، ويصدّهم عن اتباع الحقيقة ومعرفة الحق ويقذفهم في التهلكة.

٣- خروج السفيناني واليماني والخراساني:

ومن العلامات المؤكدة التي وردت في ظهور الإمام المهدي عليه السلام خروج

١ - حياة الإمام المهدي عليه السلام: ٢٥١ .

٢ - عقد الدرر: ٣٢٤ .

٣ - نفس المصدر: ٣٢٣ وصحيح البخاري ٣: ١٢١٤

السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد. وبعض الروايات تشير إلى خروج اليماني من اليمن ويدعو إلى الحق والتمسك بالولاية ويكون خروجه قبل السفياني.

أما السفياني فهو من أعمدة الشر والفساد في الأرض ينتهي نسبه إلى ابي سفيان الباطل ويعيث في الأرض الفساداً، ويخرج من وادي اليابس مكان بفلسطين فعن الصادق عليه السلام قال: «إن خروج السفياني في رجب» وعن أمير المؤمنين عليه السلام «يخرج ابن آكله الأكباد من الوادي اليابس وهو رجل ربعة وحش الوجه، ضخم الهام، بوجهه أثر الجدري، إذا رأته حسبته أعور اسمه عثمان وأبوه عنبسة وهو من ولد أبي سفيان حتى يأتي أرض قرار ومعين (اي دمشق) فيستوى على منبرها ويجتمع في الشام ثلاث رايات كلهم يطلب الملك، راية السفياني وراية الأصهب وراية الأبقع. ثم إن السفياني يقتل الأصهب والأبقع، ويملك تسعة أشهر أو خمسة عشر شهراً.

وبعد ذلك لا يكون همّة للسفياني إلا العراق، وشيعة محمد وآل محمد، فيبعث جيشين جيشاً إلى العراق وآخر إلى المدينة فيحصد فيها الأرواح ويهتك فيها الأعراض خاصة في بغداد ومدينة الكوفة^(١). ثم تأتي بعد ذلك الرايات السود من خراسان التي تظافرت الأخبار بذلك عنها ومنها ما يلي:

● روى الحسن بسنده أن رسول الله ﷺ قد ذكر محناً وبلاءً يلحق بأهل بيته حتى يبعث الله راية من المشرق سوداء، من نصرها نصره الله، ومن خذلها خذله الله، حتى يأتوا رجلاً اسمه كاسمي فيولوه أمرهم فيؤيده الله وينصره.

١ - المجالس الزاهرة: ٤٣٠ .

● روى ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها، فإن فيها خليفة الله المهدي».

● روى جابر عن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «تنزل الرايات التي تخرج من خراسان إلى الكوفة فإذا ظهر المهدي عليه السلام بمكة بعثت إليه بالبيعة».

ثم ينزل أصحاب الرايات السود ساحل دجلة ومعهم أشخاص من أصحاب القائم ويخرج رجل من موالى أهل الكوفة ضعيف فيقتله أمير جيش السفيناني بظهر الكوفة.

فعن الإمام الصادق عليه السلام يقول «كأنني بصاحب السفيناني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة فنأدى مناديه من جاء برأس شيعة علي عليه السلام فله ألف درهم فيثب الجار على جار ويقول هذا منهم فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم أما إن امارتكم يومئذ لا تكون إلا لأولاد البغايا»^(١).

وأما الجيش الثاني الذي يبعثه السفيناني إلى المدينة، وفيها الإمام المهدي عليه السلام، فيخرج الإمام مع آل علي إلى مكة. فيدخل صاحب السفيناني المدينة ويقتل فيها من آل محمد صغيرهم وكبيرهم وينهبون المدينة ثلاثة أيام. ثم يخرج إلى مكة يريد الإمام عليه السلام ومن معه فلا يدرك الإمام، وينزل الجيش في البداء (أرض بين مكة والمدينة) فينادي منادٍ من السماء يا بيداء بيدي بالقوم، فيخسف بهم فلا يفلت منهم من إلا شخصان... يحول الله وجهيهما إلى أقفيتهما وعن النبي ﷺ قال «يبعث الله جبرئيل فيقول: يا جبرائيل اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها ولا يفلت منهم إلا رجلان»^(٢) وفي رواية

١ - في رحاب أئمة أهل البيت للسيد محمد الأمين ٢: ١١٧ والمجالس الزاهرة: ٤٣١ .

٢ - نفس المصدر.

أخرى إلى ثلاثة أشخاص وبعد ذلك يدخل الإمام عليه السلام مكة ويجمع الله تعالى عليه أصحابه وهم ثلثمائة وثلاثة عشر (٣١٣) ثم يكمل العدد عشرة آلاف. ثم يخرج بهم من مكة فينادي المنادي باسمه وأمره من السماء حتى يسمعه أهل الأرض كلهم. ثم يأتي الكوفة وبعد أن يظهر عليها يسير إلى الشام حتى يأتي العذراء (قرية شرق دمشق وفيها قبر الصحابي الجليل حجر بن عدي)^(١) والسفياياني يومئذٍ بوادي الرملة حتى إذا التقوا يقع القتال ويقتل يومئذٍ من معه، ثم يرجع الإمام عليه السلام إلى الكوفة فيكون منزله بها^(٢).

- الصيحة من السماء :

ومن العلامات المؤكدة على ظهور الإمام المهدي عليه السلام نداء ملك في السماء يبشر بظهوره، ويدعو الناس إلى مبايعته ويخاطب كل أمة بلغتها، وقد وردت عدة أحاديث كان منها ما يلي:

● روى عبدالله بن عمران أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يخرج المهدي وعلى رأسه عمامة وملك ينادي: هذا خليفة الله المهدي فاتبعوه»^(٣).

● قال الإمام الرضا عليه السلام: «إذا خرج -أي الإمام المنتظر- أشرقت الأرض

١ - حجر بن عدي ابن معاوية بن جبلة بن ربيعة الكندي المعروف بحجر الخير، وهو من الصحابة الذين عاهدوا النبي صلى الله عليه وآله لمدة سنتين، وقد أخبر الرسول عنه أنه من المؤمنين الذين يشهدون وفاة أبي ذر رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وآله "إنه يشهد موته عصابة من المؤمنين" وحجر رضي الله عنه من الموالين للإمام علي عليه السلام، وكانت هذه الموالاة سبب قتله على يد معاوية بن سفيان وشهد مع الإمام علي عليه السلام حرب الجمل وصفين، وواجه مع الإمام المتمردين والناكثين والقاسطين والمارقين.

٢ - في رحاب أئمة أهل البيت للسيد الأمين: ١١٧/٣ والمجالس الزاهرة: ٤٣٢ .

٣ - نور الأنصار: ١٥٥ .

بنوره، ووضع ميزان العدل بين الناس، فلا يظلم أحدٌ أحداً، وهو الذي تطوى له الأرض، ولا يكون له ظل، وهو الذي ينادي منادٍ من السماء يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء له يقول: ألا إن حجة الله قد ظهر عند بيت الله تعالى فاتبعوه، فإن الحق فيه ومعه، وهو قول الله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (١) (٢).

● قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا نادى منادٍ من السماء أن الحق في آل محمد ﷺ فعند ذلك يظهر المهدي للناس، ويسرون فلا يكون لهم ذكر غيره».

- نزول سيدنا عيسى عليه السلام من السماء :

ومن العلامات المؤكدة على ظهور الإمام نزول السيد المسيح من السماء إلى الأرض، ومبايعته للإمام وصلاته خلفه، فإذا رأى النصارى ذلك اعتقوا الإسلام. وهذه بعض الروايات التي ذكرت ذلك:

١- قال رسول الله ﷺ: «إن خلفائي وأوصيائي الأثني عشر أولهم أخي، وآخرهم ولدي».

قيل: يا رسول الله، من أخوك؟

قال: «علي بن أبي طالب».

قيل: من ولدك؟

١ - سورة الشعراء آية ٤ .

٢ - فرائد السمطين ٢: ٣٣٧ .

قال: «المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، والذي بعثني بالحق بشيراً لولم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل عيسى بن مريم فيصلي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»^(١).

٢- قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم عند انفجار الصبح.. أبيض أصهب الرأس، أفرق الشعر، كأن رأسه يقطر دهناً، يكسر الصليب، ويقتل الخنازير، ويهلك الدجال، ويقبض أموال الإمام ﷺ، ويمشي خلفه أهل الكهف، وهو الوزير الأيمن للقائم وحاجبه ونائبه، ويبسط في المغرب والمشرق الأمن»^(٢).

- زمان ظهور الإمام الحجة المهدي ﷺ:

هناك عدد من الروايات تبين زمان ظهور الإمام المهدي ﷺ منها:

ما رواه أبو بصير عن الإمام ﷺ أنه قال: «يخرج القائم يوم السبت يوم عاشوراء، اليوم الذي قتل فيه الحسين ﷺ»^(٣).

وعن علي بن مهزيار عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر ﷺ قال «كأنني بالقائم يوم عاشوراء، يوم السبت، قائماً بين الركن والمقام بين يديه جبرائيل ينادي البيعة لله، فيملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٤) وعن الإمام الصادق ﷺ قال «لا يخرج القائم إلا في وتر من السنين سنة إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع» قال الإمام ﷺ «تكون مدة ملكه ﷺ سبع سنين تطول له الأيام

١ - غاية المرام: ٤٣ وفرائد السمطين ٢: ٣١٢ .

٢ - غاية المرام: ٦٩٧ ونفحات من سيرة أئمة أهل البيت: ٤٠٦ .

٣ - كمال الدين ٢: ٢٥٤ .

٤ - الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٥٣ .

حتى تكون السنة من سنيته مقدار عشر سنين من سنينكم فيكون سنون ملكه سبعين سنة من سنينكم هذه».

وأوضح الشيخ المفيد رحمه الله «إن مدة دولة القائم أمر مغيب عنا وإنما بقي اليينا منه ما يفعله الله تعالى بشرط يعلمه من المصالح المعلومة فلسنا نقطع على أحد الأمرين وإن كانت الرواية بذكر سبع سنين أظهر وأكثر».

وقال المجلسي: الأخبار في أيام ملكه بعضها محمول على جميع مدة ملكه، وبعضها على استقرار دولته، وبعضها على حساب ما عندنا من الشهور والسنين وبعضها على سنيه وشهوره الطويلة والله أعلم.

على كل حال سيخرج الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف لا محاله وأمر خروجه عند الله تعالى طال الزمان أم قصر «أنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً» وسيخرج الحجة المهدي ليملاً الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويخرج الإمام عليه السلام ومن صفاته أنه ما بايع ظالماً ولم يبايع ظالماً كجده الإمام الحسين عليه السلام فعن الإمام الصادق عليه السلام قال «إنه يقوم القائم وليس لأحد في عنقه عهد ولا ميثاق ولا بيعة»^(١) وعندها سينتظر الإمام عليه السلام أمر السماء للقيام بأخذ الثأر لجده الحسين عليه السلام، ولذلك جاء في زيارة الناحية للإمام عليه السلام مخاطباً جده الإمام الحسين عليه السلام «فلئن أخرتني الدهور وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولن ناصب لك العداوة مناصباً، فلأندنبك صباحاً ومساءً ولأبكين لك بدل الدموع دماً»^(٢).

١ - أثبات الهداة ٣: ٤٤٦ .

٢ - زيارة الناحية: ٢٤ .

- تحليل الشخصية (١٤):

تعتبر شخصية الإمام المهدي عليه السلام شخصية نور دينامية ديناميكية فاعلية وتفاعلية تكاملت فيها كل الصفات المحمودودة الخيرة والنيرة، وإنها شخصية تتفرد بسلوك خاص كجده محمد صلى الله عليه وآله يسير وفق نهج قويم، سبله نشر العدل والمساواة بين أفراد الأمة بجميع طوائفهم وأجناسهم، ونبذ الظلم والجور ومحاربته بقوة الله الواحد القهار. وهو الإمام المرتجى لنصرة الدين المؤمل لكشف البلية، والآخذ بثأثر العترة النبوية، المنقذ الإلهي لبني الإنسان من دول البغي والطغيان، مقيم البرهان، والحجة على جميع الأديان وشريك القرآن، وإمام الإنس والجان.

قد حاز شعبان عظيم الشرف	من معدن اللطف الجلي والخفي
قد تجلى فيه وجد الباري	بنوره القاهر للأنوار
وأي نور هو نور النور	يندك في سناه نور الطور

إن شخصية الإمام المهدي عليه السلام شخصية نور جهادية واستشهادية يأتذر بأمر الله، وقوته من قوة الله، والله هو القوي العزيز الحكيم، ينتظر... إذن الظهور من الله عز وجل ليعيد الناس كافة إلى فطرتهم السوية السليمة التي لا تعرف إلا طريق من خلقها أول مرة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(١) وليزيل عن عقولهم ما صدأ عليها من أفكار التقدم والتطور البالية، ويقتلع من قلوبهم الشرك الخفي الذي اختبئ في أفكارهم الزائفة، فيرسى على الدهر القيم العليا من جديد، ويجدد

١ - سورة يس آية ٧٩.

صرح الأخلاق القويمة النبأه لسائر الناس دون تمييز، حتى يأنس به الطفل الصغير قبل الكبير، وتأنس بقدومه كافة المخلوقات على وجه المعمورة.

إن شخصية الإمام المهدي شخصية تكاملية تكامل بطلعته البهية النور الإلهي، والنور المحمدي، والنور العلوي والفاطمي والنور الحسني والحسيني، ونور الأئمة المعصومين من ولد الحسين عليهم السلام، وإنه ذلك الإنسان الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يكل إلى نفسه طرفه عين أبداً، ولا يعمل بشئ إلا كان حقاً، ولا يأبه لأمر إلا إذا كان خيراً يقارع الكفر والظلم والشرك حتى يحقق العدالة والأمان والطمأنينة لكل المخلوقات بشرية وغير بشرية ويفتح آفاق الطريق القويم للعبودية الخالصة، ويرسي قواعد الأخلاق الحسنة، خلقه خلق القرآن الكريم: حسن الله خلقه به، وجمل روحه به، وكمل نفسه به فلا يقوم إلا بأمر الله، ولا يقعد إلا بأمر الله عز وجل.

إن شخصية الإمام المهدي شخصية ظاهرة النور، منيرة الظهور، سافرة الأشراق، مشرفة السفور، عالية المقام، سديدة الأحكام متواضعة لله، رحيمة، رؤوفة، ودودة، آمرة بالعدل، وعادلة في الأمور، فهونور الأنوار، وسلالة الأخيار، وبقية الأطهار، وذخيرة الأبرار، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، صاحب الأوضاح والفرر، القوي في ذات الله، الشديد على أعداء الله المؤيد بنصر الله والقائم بأمر الله، المنصور بعون وقوة من الله هو الإمام الذي يملأ القلوب السرور، ويرسم البسمة على وجه كل منتظر ومظلوم، ويسير عدله في الآفاق فيكون أسطع من الشمس وأضوأ من القمر في مسيره، ويعيد به الله دينه ويوضح منهاج الشرع وقانونه، ويؤيد الإمامة ويكمل الرسالة، ويجدد الشريعة المحمدية بعد تراجعها، ويقوى عقدها بعد ضعفها، ويعيدها كما بدأت

قوية عالية، يجاهد في الله حق جهاده، ويظهر من الأدناس الأقطار، ويصلح ما أفسده الأعداء، ويجدد سنة آبائه وأجداده.

وهو الإمام الذي بقوة الله وعدله يبيد الظالمين، ويردى الطغاة والمارقين، ويقضي على العتاة والمنافقين، ويسوق الناس نحو طريق الحق لم ير من قبله من السابقين السابقين، فزمانه حقاً زمان المتقين، وأصحابه هم المأمور بالكون معهم في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١). أنهم الصادقون الذين صدقوا بالحق فاتبعوه، واهتدوا به إلى تحقيقه، ووفقهم الله إلى الخيرات بتسديدة في قوله تعالى ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(٢) فيسرعون مع الإمام الحق وناشر العدل وبه التي تختم الخلافة والإمامة، وإليه تنتهي الرئاسة والزعامة، فالويل في حربه والسلامة في سلمه، يجدد من الدين الإقتصاد النازل ويرفع معالم العلم النافع، ويرفع شعار الأيمان، ويدعو إلى عبادة الله الواحد القهار المنزه عن الصاحبة والولد، ويتقدم على السيد المسيح كما ورد في الخبر الصحيح والحق الصريح.

بشرارك يا فاتحة الوجود بخاتم الولاية الموعود

رب المعالي وريب المجد ووارث المجد أبا عن جد

روح الهدى عقل العقول الشامخة قلب الملتقى نفس النفوس الباذخة

وملتقى القوسين في الوجود ومركز المحيط في الشهود

إن شخصية الإمام المهدي النورانية المهدوية هي التي تعيد التوافق النفسي

١ - سورة التوبة آية ١١٩ .

٢ - سورة البقرة آية ١٤٨ .

إلى وضعه الطبيعي لكافة البشر، بعدما يفقد الناس صوابهم..... نتيجة الضغوطات الحياتية المختلفة سياسية أو فكرية أو اجتماعية أو اقتصادية أو أسرية أو مجتمعية الواقعة عليهم. فالناس في ظل هذه التغيرات الفكرية الضاغطة تأخذ عملية الإدراك عندهم بالتحول الحسي والفكري وذلك عند تفسيرهم للآراء الفكرية والعقائدية والمواقف الحياتية.

والإمام المهدي عليه السلام هو الإمام الذي لم ولن تشغله الدنيا بملذاتها وزخرفها وزبرجها وبمالها وجمالها عندما تقبل عليه السعادة بصحة وعافيه بل ينصرف إلى إصلاح كل المجتمعات مجتمعة من شرقها إلى غربها ومن جنوبها إلى شمالها من الخلل والزلل والضعف والهوان، ويكافح الظلم والجبت والطاغوت، ويعيد الحق إلى نصابه، ويحطم الشرك الخفي والأصنام الفكرية الزائفة.

إنه الإمام الذي سيكون منقذاً للعالمين كما كان جده عليه السلام مبشراً ونذيراً وهادياً إلى الله وسراجاً منيراً ورحمة للعالمين، وإن وجوده الطاهر سينقذ البشرية جمعاء من حالات التردّي والسقوط والتمزق والتشرذم، والذل والاستضعاف، والجور والظلم، ويخلصهم من الأمراض الفكرية والأسقام الجسمية.

هو المدار بل هو المدير بأمره التقدير والتدبير

وعالم الإبداع تحت أمره ونشأة التكوين دون قدره

والقلم الأعلى لسان حاله واللوح كالعنوان من كماله

بقية الله وصفوة الرسل ونخبة الوجود ما شئت فقل

إن شخصية الإمام المهدي شخصية إقدامية، مقدامة، شجاعة تتنصر للحق،

وتنصر المظلوم قال الله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(١) والمظلوم هو جده الإمام الحسين عليه السلام الذي قتل ظمانا عطشاناً وعرياناً، ورفع رأسه على أسنة الرماح، فiaأخذ الإمام بثأثره من قتلته «يزيد بن معاوية وأصحابه لعنة الله عليهم جميعاً» فيقتلهم حذواالقذة بالقذة.

يا أيها القائم بالقسط أقم
وجهك للدين الحنيف وانتقم
لدين آبائك من أعدائه
بكفك العادل في قضائه
وطهر الأرض من الأرجاس
بسطوة تزلزل الرواسي

إن شخصية الإمام المهدي عليه السلام شخصية يرفع فيها علم دولة الحق، فيتصدى فيها لإزالة كل مظاهر الظلم والفساد التي تسود العالم من أقصاه إلى أقصاه، ويرفع فيها لواء الحمد ويتحقق مفهوم الخير والعدالة في الإسلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام «إذا قام القائم حكم العدل» وارتفع في أيامه الجور، آمنت السبل، وأخرجت الأرض بركاتها ورد كل حق إلى أهله، ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان قال الله تعالى ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٢) ويحكم بين الناس بحكم دواذ عليه السلام وبحكم محمد عليه السلام، فحينئذ تظهر الأرض كنوزها، وتبدى بركاتها فلا يحل الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته، ولا لبره، لشمول الغنى جميع المؤمنين.

١ - سورة الاسراء آية ٣٣ .

٢ - سورة آل عمران آية ٨٣ .

ثم قال ﷺ: إن دولتنا آخر الدول، ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء^(١) وهو قول الله عز وجل ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

(اللهم إنا نرغب بك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها الشرك وأهله، وتجلعنا فيها من الدعاء إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك، وترزقنا فيها خير الدنيا والآخرة آمين يا رب العالمين).

وخلاصة القول إن شخصية الامام المهدي ﷺ الشخصية التي أعدت لقطع دابر الظلمة، وإقامة الأمت والعوج، وإزالة الجور والعدوان، ولتجديد الفرائض والسنن، والمتخير لاعادة الملة والشريعة، والمؤمل لأحياء الكتاب وحدوده، ومحبي معالم الدين وأهله، قاصم شوكة المعتدين، وهادم أبنية الشرك والنفاق، ومبيد أهل الفسوق والعصيان والطغيان، وحاصد فروع الغي والشقاق، وطامس آثار الزيف والأهواء، وقاطع حبائل الكذب والإفتراء، ومبيد العتاة والمردة، مستأصل أهل العناد والتضليل والإلحاد، ومعز الأولياء، ومذل الأعداء وجامع الكلمة على التقوى، وباب الله الذي منه يؤتى، ووجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، والسبب المتصل بين الأرض والسماء، وصاحب يوم الفتح وناشر راية الهدى، ومؤلف شمل الصلاح والرضا، والطالب بذُحُول الأنبياء وأبناء الأنبياء والطالب بدم المقتول بكرىلاء، والمنصور على من اعتدى عليه وافترى، والمضطر الذي يجاب إذا دعا^(٣) كيف ولا؟

١ - إرشاد المفيد ٢: ٢٨٣، أعلام الوري: ٤٢٢، الملاحم والفتن: ٥٥، منتخب الأثر: ٣٠٨، الإمام المهدي الحقيقة المنتظرة: ٣١٨.

٢ - سورة الأعراف: ١٢٨، سورة القصص: ٨٣.

٣ - مقطع من دعاء (الندبة) ويتصرف من الكاتب.

وهو صدر الخلائق، ذوالبر والتقوى، ابن النبي المصطفى وابن علي المرتضى، وابن خديجة الغراء وابن فاطمة الكبرى.

اللهم صل عليه صلاة لا غاية لعددها ولا نهاية لمددها ولا نفاذ لأمدها، اللهم وأقم به الحق، وادحض به الباطل وأدل أوليائك، وأذل به أعدائك، وصل اللهم بيننا وبينه وصلة تؤدي إلى مرافقة سلفه، واجعلنا ممن يأخذ بحجرتهم ويمكث في ظلهم، وأعنا على تأدية حقوقه إليه والإجتهاد في طاعته، واجتنب معصيته، وامن علينا برضاه، وهب لنا رأفته ورحمته، ودعائه وخيره ما ننال به سعة من رحمتك وفوزاً عندك.

اللهم واجعل صلاتنا به مقبولة، وذنوبنا به مغفورة، ودعائنا به مستجابا، واجعل أرزاقنا به مبسوبة وهمومنا به مكفية وحوائجنا به مقضية، وأقبل إلينا بوجهك الكريم، وأقبل تقربنا إليك، وانظر إلينا نظرة رحيمة تستكمل بها الكرامة عندك، ثم لا تصرفها عنا بجودك، واسقنا من حوض جده عليه السلام بكأسه وبيده رياً رويأ هنيئاً سائغاً لا ظمأ بعده يا أرحم الراحمين^(١).

اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعينا حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه واجعلنا من أنصاره وأودائه والمجاهدين تحت لوائه.

اللهم يا أوسع المعطين ويا خير الرازقين ارزقني وأخواني المؤمنين من بركات ذلك الظهور الطاهر، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

١ - مقطع من دعاء الندبة.

تم بحمد الله

صدر عن مركز الدكتور حسين الطاهر
للإستشارات النفسية والإجتماعية